

كتاب: خطبة اليابان (من تعاليم الإسلام) الجزء الأول

تأليفه : د. سليم الرحمن خان الندوي

الخطبة الأولى

أهمية العلم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مِّنْ قَالَ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى. وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: "إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾". (سورة العلق: ٩٦، الآيات: ١-٥).

هَذِهِ دَعْوَةٌ إِلَى الْقِرَاءَةِ وَالتَّعْلِيمِ بِاسْمِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، وَإِرْشَادٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُشَاهَدَةِ الْكَوْنِ الْوَاسِعِ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِنَّ الْحِكْمَةَ فِي تَنْبِيهِ الْعُقُولِ وَإِبْقَائِهَا لِلتَّعْرِفِ عَلَى الْخَالِقِ وَاضِحَةٌ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ.

وَلَقَدْ مَثَلَ الْإِسْلَامَ الْعِلْمَ بِنُورٍ يَمْشِي بِهِ صَاحِبُهُ فِي الْحَيَاةِ، قَاطِعًا كُلَّ مَا فِيهَا عَلَى بَيِّنَةٍ وَهُدًى، وَمَثَلَ الْجَهْلِ بِالظُّلْمَةِ الَّتِي تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مُتَحَيِّطًا فِي سَيْرِهِ، مُضْطَرِبًا فِي سُلُوكِهِ، غَيْرَ مُهْتَدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَقَدْ يُدْرِكُ الْهَلَاكَ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى غَايَتِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾". (سورة الزمر: ٣٩، الآية: ٩).

وَقَدْ عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ، أَنَّ دَعْوَتَهُ تَقُومُ عَلَى الْعِلْمِ وَالتَّابِعِينَ، وَأَنَّهَا تَحْتُ عَلَى التَّنْقِيفِ وَالتَّعْقُلِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَأَنَّهَا تَعْتَمِدُ فِي جُمْلَتِهَا عَلَى مُحَاطَةِ الْعَقْلِ.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفَعَ الْعُلَمَاءَ دَرَجَاتٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "...يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾". (سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: ٥٨، آيَةُ: ١١).
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾". (سُورَةُ فَاطِرٍ: ٣٥،
 آيَةُ: ٢٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
 وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾". (سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٩، آيَةُ: ١٢٢).

إِنَّ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ وَالْآثَامِ، لَا تَتِمُّ وَلَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعِلْمِ بِمَا جَاءَ
 عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا مَعْرِفَتُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، مِنْ تَوْحِيدِهِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَعْرِفَةِ مَا فَرَضَهُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْقِيَامُ بِهَا، وَتَأْدِيدِهَا
 عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، لِيَسْلَمَ بِذَلِكَ مِنْ إِزْتِكَابِ مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَرَسُولُهُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْأَحْكَامِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ دَلِيلٌ عَلَى إِزَادَةِ الْخَيْرِ لِلْعَبْدِ،
 وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَهَّلَ لَهُ ذَلِكَ لِإِزَادَةِ الْخَيْرِ، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى
 مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ". (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: ٣١١٦).¹

إِنَّ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ دَلِيلٌ عَلَى إِزَادَةِ الْخَيْرِ لِلْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، إِذَا كَانَ عَامِلًا بِعِلْمِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفِقْهَ
 فِي الدِّينِ سَبَبٌ لِمَعْرِفَةِ مَا يُوجِبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبْدِهِ، مِنْ مَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَأَدَاءِ مَا
 أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْهُ، وَلَا يَتَأْتَى مَعْرِفَةُ ذَلِكَ إِلَّا
 بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ، وَمَعْرِفَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَالمُرَادِ مِنْهُ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّمَسُّكِ بِهَدْيِهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الْمَوْزُوتِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ مِنْ فَرَائِضِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ أَمْرًا إِيَّاهُ بِطَلَبِ
 الزِّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "...وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾". (سُورَةُ طهَ: ٢٠، آيَةُ: ١١٤).
 وَتَوَجَّهَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ، وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ طَلَبِ الْعِلْمِ،
 وَسَعَوْا وَرَاءَ الْحُصُولِ عَلَيْهِ، مَهْمَا بَعُدَتْ الشُّقَّةُ، وَمِنْ هَذَا يَظْهَرُ لَنَا بِوُضُوحٍ مَدَى حِرْصِ الْإِسْلَامِ عَلَى

1 صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: ٥٧- كِتَابُ فُرُوضِ الْحُفْسِ، ٧- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ"، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٣١١٦

الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَمَدَى حِرْصِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ عَلَى التَّرْوُدِ بِالْعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ". (صَحِيحُ البُخَارِيِّ: ٣٤٦١).²

وَقَدْ كَتَبَ الْإِمَامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ: "لَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" (١٩/٤٧)، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ- وَرَثُوا الْعِلْمَ- مَنْ أَخَذَهُ أَحَدٌ بِحِطِّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (٢٨/٣٥)، وَقَالَ: "وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" (٤٣/٢٩)، "وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" (١٠/٦٧). وَقَالَ: "هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (٩/٣٩). وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ". وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لَوْ وَضَعْتُمْ الصَّمْصَمَةَ عَلَى هَذِهِ، -وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ-، ثُمَّ ظَنَنْتُ أَيُّ أُنْفَذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لِأَنْفَذْتُمَهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُونُوا رَبَّائِيْنَ حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ. وَيُقَالُ الرَّبَّائِيُّ الَّذِي يُرِي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ. (صَحِيحُ البُخَارِيِّ: ٣- كِتَابُ الْعِلْمِ).³

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا". (صَحِيحُ البُخَارِيِّ: ٧٣).⁴

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ،

صَحِيحُ البُخَارِيِّ: ٦٠- كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، ٥٠- بَابُ مَا ذَكَرَ عَنْ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 2٣٤٦١

3 صَحِيحُ البُخَارِيِّ: ٣- كِتَابُ الْعِلْمِ، ١٠- بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

4 صَحِيحُ البُخَارِيِّ: ٣- كِتَابُ الْعِلْمِ، ١٥- بَابُ الْأَغْتِيَابِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٧٣

وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ". (صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ٧٠٢٨).⁵
 وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي
 الدِّينِ". (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: ٢٨٥٧). هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.⁶
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ
 عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ". (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: ٢٨٥٨). هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.⁷
 وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ
 وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَضَّلْتُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ". ثُمَّ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي
 جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ". (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: ٢٩٠١). هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ
 صَحِيحٌ غَرِيبٌ.⁸

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا
 مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ". (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: ١٤٣٢). هَذَا
 حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.⁹

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا
 يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ،
 وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى
 الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا
 دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَحَدٌ بِحِظِّ وَافِرٍ". (سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: ٣٦٤٣). هَذَا حَدِيثٌ

5 صحيح مسلم: ٤٩- كتاب الذكر والدعاء والتوبة، ١١- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث: ٧٠٢٨

6 سنن الترمذي: ٣٧- كتاب العلم، ١- باب ما جاء إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين، رقم الحديث: ٢٨٥٧، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

7 سنن الترمذي: ٣٧- كتاب العلم، ٢- باب ما جاء في فضل طلب العلم، رقم الحديث: ٢٨٥٨، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

8 سنن الترمذي: ٣٧- كتاب العلم، ١٩- باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: ٢٩٠١، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

9 سنن الترمذي: ١١- كتاب الأخكام، ٣٦- باب في الوفاء، رقم الحديث: ١٤٣٢، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

صَحِيحٌ.¹⁰

إِنَّ هَذِهِ آيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ وَغَيْرَهَا، تَدُلُّ عَلَى فَضْلِ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، الَّذِي يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ الشُّكِّ إِلَى نُورِ الْيَقِينِ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي إِلَى نُورِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْبُعْدِ عَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى نُورِ التَّقَرُّبِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَيَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَأْخُذَ جُزْءًا مِنْ وَقْتِنَا، نَتَعَلَّمُ فِيهِ مَا يَنْفَعُنَا مِنْ أَحْكَامِ دِينِنَا، فِي التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ، وَالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ وَغَيْرَهَا، لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَأَدْرَكْنَا الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَلَا نَقْدُنَا أَنْفُسَنَا مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا كَتَسَبْنَا شَيْئًا مِنْ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَأَنْ يَعْمَنَا وَإِيَّاكُمْ بِعَفْوِهِ، وَأَنْ يُسَبِّحَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِوَأَسِعِ فَضْلِهِ، وَأَنْ يَدْخِلَنَا بِرَحْمَتِهِ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ. نَعْبُدُ اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَيُّهَا الْإِحْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعًا، يَنْتَرَعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا، فَأَقْتَمُوا بَعْضَ عِلْمِهِمْ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا". (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: ١٠٠).¹¹

10 سنن أبي داود: ٢٦- كتاب العلم، ١- باب الحث على طلب العلم، رقم الحديث: ٣٦٤٣، قال الألباني: هذا حديث صحيح.

11 صحيح البخاري: ٣- كتاب العلم، ٣٤- باب كيف يقبض العلم، رقم الحديث: ١٠٠

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيُنزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ". (صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ٦٩٥٩).¹²

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ". قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: "الْقَتْلُ". (صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ٦٩٦٤).¹³

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "طَلَبَ الْعِلْمَ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَوَضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمَقْلَدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ". (سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ: ٢٢٩). "طَلَبَ الْعِلْمَ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ" صَحِيحٌ، "وَوَضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمَقْلَدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ" ضَعِيفٌ جَدًّا.¹⁴

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ" بِدُونِ لَفْظَةِ "وَمُسْلِمَةٍ" وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ الْمُسْلِمَةَ لَا يَجِبُ عَلَيْهَا التَّعَلُّمُ، بَلْ هِيَ دَاخِلَةٌ فِي لَفْظِ مُسْلِمٍ، لِأَنَّهُ إِذَا أُطْلِقَ شَمَلَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى.

وَمَا تَوَافَرَتْ النُّصُوصُ عَلَى الْحَثِّ عَلَى شَيْءٍ بِقَدْرِ مَا تَوَافَرَتْ عَلَى الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، لِأَنَّ وظيفَةَ الْعُلَمَاءِ وَالبَاحِثِينَ، هِيَ تَنْوِيرُ الْعُقُولِ وَتَبْصِيرُ النَّاسِ فِي شُؤْنِهِمْ، وَتَمَكِينُهُمْ مِنَ الْأَخْذِ بِكُلِّ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ، وَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التَّحْبُطِ وَالتَّخَلُّفِ، عَنِ مُسَايَرَةِ رَبِّ الْحَيَاةِ فِي حُدُودِ التَّهْذِيبِ وَالأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ.

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى خَيْرِ الرِّبِّيَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾" (سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ٣٣، آيَةُ: ٥٦).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنِ الأَرْبَعَةِ الخُلَفَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

"...رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾" (سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢، آيَةُ: ٢٠١).

12 صحیح مسلم: ٤٨- کتاب العلم، ٥- باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، رقم الحديث: ٦٩٥٩

13 صحیح مسلم: ٤٨- کتاب العلم، ٥- باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، رقم الحديث: ٦٩٦٤

14 سنن ابن ماجه: المقدمة، ٣٩- باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: ٢٢٩، قال الألباني: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" صحیح، "وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب" ضعيف جداً، وزيادته "ومسلمة" لا أصل لها البتة، وأما زيادته: "اطلبوا العلم ولو بالطين" فباطلة.

(٢٠١).

"...رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ (سُورَةُ الْحَشْرِ: ٥٩، آيَةُ: ١٠).

اللَّهُمَّ اعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ لِأَوَامِرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللَّهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّكَ، وَحُبَّ دِينِكَ، وَحُبَّ كِتَابِكَ، وَحُبَّ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. اللَّهُمَّ حَقِّقْ لَنَا حُسْنَ الْأُسُوةِ بِرَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَارزُقْنَا حُبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْفُسِنَا وَوَالِدِينَا وَأَوْلَادِنَا وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. اللَّهُمَّ وَحِّدْ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْخَيْرِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ وَفِّقْ قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا فِيهِ خَيْرٌ وَصَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ اجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ وَوَحِّدْ شَمَلَهُمْ، وَأَنْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، وَوَيْدِنَا بِالْحَقِّ وَوَيْدِ الْحَقِّ بِنَا إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ. اللَّهُمَّ أَبْعِدْنَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، وَالْمُحَدَّثَاتِ وَالْبِدَعِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا. اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحَلَالِكَ عَنِ حَرَامِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جُهِدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ، وَنُفُوسَنَا سَمِيعَةً مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ، وَجَوَارِحَنَا سَاعِيَةً فِي طَاعَتِكَ. اللَّهُمَّ ارزُقْنَا زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَرَعْبَةً فِي الْآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْعَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفُورَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَاسْتَعْمِلْ عَلَيْنَا خِيَارَنَا، وَاكْفِنَا شَرَّ شَرَارِنَا، وَاجْعَلْ وِلَايَتَنَا وَوِلَايَةَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ وَاتَّبَعَ رِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَمَغْفِرَتَكَ وَجَنَّتَكَ، وَالنَّجَاةَ مِنْ عِقَابِكَ وَالنَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ الدَّعَوَاتِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ (سُورَةُ النَّحْلِ: ١٦، آيَةُ: ٩٠).

فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.